الانفجـار

- **الزمان**: بين عامي (٢٠٠٠) و (٢٠٠٣).
- **المكان**: القاهرة. في الأماكن التالية:

١- المعهد المسرحي المصري الفرنسي: تجري فيه مشاهد مسرحية جلجامش الأسطورية.

٢- مشفى الأمراض العصبية الحكومي: موقع أحداث واقعية معاصرة في القاهرة.

٣- فندق مصر الجديدة: موقع أحداث واقعية معاصرة في القاهرة.

- **المناظر**: جانبا المسرح سواتر ومَمرّات. المنظر المسرحي لكلّ مشهد تعيّنه ستارة تنسدل على صدر المسرح، أو لافتة مكتوبة.
- **الممثلون**:

١- المرأة : طالبة في المعهد المسرحي الخاصّ المصري الفرنسي، ومدرّسة فلسفة في مدرسة ثانوية حكومية.

٢- الرجل : زميلها. مثلها.

٣- القناع : رجل يمثّل أدواراً مختلفة بأقنعة مختلفة.

٤- جوقة مسموعة: تبقى خارج المنظر فنسمعها ولا نراها.

- **ملاحظة:** يمكن للمخرج أن يوزّع أدوار القناع على عدّة ممثلين. هذه الأدوار هي:

١- مدير المعهد المسرحي.

٢- مدير المشفى.

٣- جلاّد في المشفى بصفة ممرّض.

٤- خادم عند أحد أغنياء مصر.

٥- بوّاب الفندق.

المنظر الأول

خشبة المعهد المسرحي

-١-

حانة سدوري

(ثلاث قطع أسطوانيّة من جذع شجرة تستخدم كمقعدين وطاولة واطئة. في وسط العمق جرّة مغطّاة بغطاء خشبي، وبجانبها طاولة من الجذع المذكور عليها كدسة خبز ملفوفة بقطعة قماش، وأقداح من زجاج أو فخّار مزجَّج، وزجاجة خمر ضخمة مقشّشة).

(إظلام تام وموسيقا: لحن ممّا يُفترضُ أنه موسيقا حضارة العراق القديمة).

(إضاءة ليلية تدريجية. لا أحد على الخشبة. طرق على باب خارج المنظر، ثم صوت الرجُل)

صوته : (مُرعِداً) يا صاحبةَ الحانة.. يا صاحبة الحانة.. (طرق قوي) افتحي الباب.

(تأتي المرأة من الداخل في زيّ سدوري سائرة نحو مصدر الصوت وهي تحمل بلطة. تقف في وسط المكان تقريباً تنظر إلى الخارج من كوّة افتراضية).

المرأة : (لنفسها) جلجامش. إنه جلجامش.

صوته : يا صاحبة الحانة. (طرق قويّ) افتحي أو أحطّمُ الباب.

سدوري : أتيت أفتح. (تُعلِّقُ البلطة بزنّارها وتسير نحوه) أتيت أفتح.

(تخرج إلى البابِ المفترَض لحظة، ونسمع صوت فتح باب خشبي وإغلاقه خبطاً. تقوى الإضاءة قليلاً وترجع سدوري ووراءها الرجُل في زيّ جلجامش: تاج من الغار. ثياب من جلد مدبوغ. سيف على خصره. جعبة على ظهره. قربة ماء تتدلّى من عاتقه، وفي يده سَوط جلديّ)

جلجامش : (غاضباً صارخاً وهما داخلان) ما هذا التأخّرُ كلّه؟! ولماذا تُرتجينَ بابَ الحانةِ بالرتاج؟!

سدوري : ألا ترانا في آخر الليل وفي برّية موحشة؟!

جلجامش : هذه حانة لكلّ مسافر، فلا يُغلَق بابها أمامَ أحدٍ في أيّ ساعة.

سدوري : بل يُغلَق اتقاءً لِمِثلك. تخبِطُ عنيفاً وتُهدّد، ثم تدخل فلا تحيّي بل تصرخُ وتعربد.

جلجامش : أخبروني أنك شرسة وأغفلوا أنك وقحة. ولو كنتِ في مملكتي لَجعلتُك أحقرَ بغيّ في المدينة؛ كي تأكلي فضلاتِ الطعام، وتقفي في ظلالِ الجدرانِ وتنامي في الزوايا المظلمة. وكي يلطِمَك السكران والصاحي، وينبذَك الرجال بعد قضاءِ الوطَر.

سدوري : اعرفْ إذنْ أين أنت. (تشهر البلطة) وإن تفوّهتَ بكلمةٍ وقحةٍ أخرى فسوف يطيرُ رأسُك.

جلجامش : (دافعاً البلطة جانباً بيده) اعرفِي إذنْ مَن تكلّمينه. (مبتعداً عن سدوري) أنا لا أُهينُ مَكانتي بقتال امرأة، ولا أهينُ سلاحي بدم امرأة. أنا الأمجدُ بين الملوك وبين الرجال. أبي هو الإله الشمسُ الذي

أكسبَني البطولةَ والوَسامة. وأمّي كاهنةُ المعرفة، التي أكسبتني الحكمةَ والكبرياء.

سدوري : وأنا لا أرى فيكَ غيرَ الغرورِ والفظاظة، ولا أتوقّعُ منكَ إلاّ اغتصابي.

جلجامش : ومَن تكونينَ أمامَ إلهةِ الخِصبِ عَشتار؟! لقد راودتني عن نفسِها فرفضتها. أهنتها وأبكيتها وجعلتها سخريةَ الآلهةِ والبشر، لأنها أنثى متسلّطةٌ مستأسِدة.

سدوري : وأنا أستأسدُ على أمثالِك. فماذا تريد منّي؟

جلجامش : اهدَئي، اهدَئي يا امرأة. ماذا يريدُ مسافرٌ مِن حانة؟!

سدوري : (تشير إلى الخبز) عندي خبزُ حِنطة.

جلجامش : أكلتُ كبِدَ النمرِ نيئاً منذ ساعة.

سدوري : (تشير إلى الجرّة) هذا هو الماء، صافٍ وبارد.

جلجامش : شربت من الينبوع وملأتُ القِربة. لكنّي أمشي من سبع ليالٍ وسبعة أيام..

سدوري : (تقاطعه) هذه حانةٌ للعابرينَ وليست مَنامة.

جلجامش : أنا لا أريدُ النوم. (يسير إلى مقعد ويجلس) أريدُ خمراً قويّاً ينعشُ روحي وبدني.

سدوري : (تدسّ البلطة تحت زنّارها وتسير نحو الخمر) عندي خمرٌ قويّ، لكنك مرهَقٌ ولن تقوى بعدَه على الحركة.

جلجامش : هاتي الزجاجة. (تحمل الزجاجة وقدحاً) الزجاجةَ وحدَها. (تعيد القدح وتعطيه الزجاجة فيعبّ طويلاً) أنت شرسة حقّاً لكنك ساذجة؛ لا تعرفين ما يقدرُ عليه بعض الرجال.

سدوري : رأيت رجالاً كثيرين؛ ضِخاماً وأقوياءَ وأشراراً أيضاً. وكلّهم سقطوا عند قدمي.

جلجامش : كلّ رجلٍ يسقطُ أمامَ المرأة، إلاّ أنا. (يجرع جرعة صغيرة) وكلُّ أنثى هي حمقاءُ ضعيفةٌ مدّعيةٌ إلاّ أنت، لأنك فريدةٌ وقويّة، (وبعد جرعة صغيرة) وذاتُ نفسٍ أبيّة.

سدوري : ماذا بعدَ هذا المديح؟

جلجامش : (بعد جرعة) أريدُ أن تعلمي أنّي لا أحملُ ذهباً ولا فضّة. ولكنْ..

سدوري : (تقاطعه) لا داعي. لستَ أوّلَ مسافرٍ أنفقَ نقودَه أو فقدَها.

جلجامش : أنا لا أحمل نقوداً، وأستغني عنها بِما أصطاده. لكنني حين أرجِعُ من رحلتي سأعوّض عليك أحسنَ تعويض: سآخذك معي إلى مملكتي، وأجعلك آمنةً ومحترَمة.

سدوري : (تجلس) أنا هنا في غاية الأمان. واحترامي لنفسي يقابله الآخَرون بكلّ احترام.

جلجامش : وحدَكِ في أقاصي البراري، عُرضةٌ للّصوصِ وقطّاعِ الطرق؟!

سدوري : حتى هؤلاء.. صاروا أصدقائي.

جلجامش : أنت فتيّة ولا بأس بجمالك، وعُرضةٌ لأن تُغتصَبي.

سدوري : حاولَ أشرارٌ كثيرون فواجهوا حدَّ البلطة.

جلجامش : لكنك تقتلينَ جسدَك الفتيَّ بالعيشِ وحيدة.

سدوري : بل أعيشُ بجسدي كما أشاء. بكلِّ حرّية.

جلجامش : وما الذي ألجأكِ إلى هنا والعيشِ بين المَخاطر؟!

سدوري : (ناهضة) ألجأني مَلِكٌ طاغية. أراد الليلةَ الأولى من جسدي حسْبَ قانونٍ وضعَه لنفسِه. لعلّك تعرفُ ذلك القانون.

جلجامش : اعرفُهُ، فماذا أيضاً؟

سدوري : رفضَ عريسي طلبَ الملك، فحكَم عليه بخمسِ سنواتٍ من السخرة. وهربتُ أنا مع أبي واختبأنا في مغارة. ثم انطلقنا نضرِبُ في الأرضِ ونبتعدُ ونبتعد، حتى أقمنا هنا وبنينا الحانة.

جلجامش : (يجلس ويجرع آخر ما في الزجاجة) وأين أبوك فأكلّمه؟

سدوري : أبي نامَ النومةَ الأبديّة. أمّا أنت فقد استرحتَ وشربتَ خمراً فانصرفْ كي أنام.

جلجامش : (بعد أن ينهض ويتمشّى مفكّراً) أجيبيني على سؤالٍ واحدٍ فأتابعُ سفري.

سدوري : وما سؤالُك.

جلجامش : (بعد لحظة تردّد) قبل سؤالي، (يعطيها الزجاجة) هاتي زجاجةً ثانية.

سدوري : أخشى أن تسكرَ وتسيءَ التصرّف، فلا أجيبُ على سؤالك.

جلجامش : كما تريدين. (تعيد الزجاجة إلى مكانها) هذا الكوخ على مفترَق دروب عديدة، وأنت لا شكَّ تعرفين

مَساراتِها ونهاياتِها. فأيُّها يؤدّي إلى الجبلِ الأزرق، حيثُ نهايةُ العالَم؟

سدوري : أنت لا تقصِدُ الجبلَ الأزرق، ولا تقصِدُ نهايةَ العالَم، (تشك حدّ البلطة بجذع الشجرة وتسير نحو جلجامش) بل تقصِدُ الروحَ العظيمةَ الخالدة.

جلجامش : هي مَن أقصِد. فهي الإنسانةُ العظيمةُ الوحيدةُ التي كرّمتها الآلهة، فخلّدتها وملّكتها أسرارَ الكونِ كلِّه.

سدوري : وأنتَ تقصِدُها لتطلبَ ماءَ الخلود.

جلجامش : ما أدراكِ بماء الخلود؟

سدوري : كثيرون جاؤوا قبلَكَ للغايةِ ذاتِها. لكنّ بعضَهم ما عادوا ولا عُرِف عنهم خبر. وبعضُهم عادوا وأكلوا خبزي وشربوا خمري وهم مفلسون.

جلجامش : هل حصلوا على ماء الخلود؟

سدوري : حصلوا على خيبة وانكسار.

جلجامش : هذا يسرّني.. أعني يسرّني أن أسمعَ أخبار السابقين وأفكّرَ فيها. فأخبريني بكلِّ ما تعرفين.

سدوري : كلّ ما أعرفه أنهم ذهبوا أقوياءَ متأمّلين، ورجَعوا عجزةً يائسين. أجسامُهم حطّمَتها دروبُ الجبالِ

الوعرةِ والوديانُ الصخريّةُ السحيقة.. ونفوسُهم حطّمها الفشلُ وانقطاعُ الأمل.

جلجامش : ألم يخبروكِ عن ماء الخلود؟

سدوري : أخبروني أنّ الخلودَ مستحيلٌ وأنّ السعيَ إليه جنون.

جلجامش : هذا كلامُ الحمقى والفاشلين. (سدوري تبتسم) كلّ عاقل يتمنّى الخلودَ ويسعى إليه.

سدوري : وكلّ عاقلٍ يعرف أنه مستحيلٌ وأنّ الموتَ قدَرُ البشر.

جلجامش : هذا قدَرٌ ظالِمٌ ضرورةُ الموت؟

سدوري : الموتُ ضروريٌّ لتستمرَّ حياةُ الجميع.

جلجامش : يا لها مِن حكمةٍ غبيّة!

سدوري : فكّرْ يا ابنَ كاهنةِ المعرفة: لو خلَد جميع الأحياء لضاقت الأرض وعجزت عن إطعام الجميع. وعندها يتصارعونَ ويتناحرون وينتشرُ القتلُ والفظاعة، ولا يبقى على الأرض إلاّ أعنفُ المفترسينَ والقتلة.. أمّا الموتُ المقدَّرُ على الجميعِ فيعطي حياةً للجميع وإن تكنْ محدودة.

جلجامش : الحياةُ المحدودة موتٌ مؤجَّل؛ أيّامٌ ينغّصها هاجسُ الموت وتخلو من السعادة.

سدوري : سعادة الإنسان أن يأكل هنيئاً ويشرب هنيئاً ويُفرحَ أهلَه وعشيرتَه. وما دمتَ ملِكاً فإنّ شعبَك هم أهلك وعشيرتُك. فاعمَل على إسعادِهم تُسعِدْ حياتَك.

جلجامش : حياتي أصبحت مُرّةً تافهةً مقرفة.

سدوري : لستَ كهلاً مريضاً ولا عجوزاً على شفا الموت.

جلجامش : ليت مصيبتي كانت كذلك. لكنني فقدتُ شخصاً أعزَّ مِن نفسي عليّ، ففقدتُ طعمَ الحياة.

سدوري : لا شيءَ يُرجِعُ مَن فقدته حتى خلودُك.

جلجامش : خلودي تعزيةٌ وتعويض. وإن فشلتُ في مسعايَ سأهلِكُ نفسي وألتحقُ بِمَن فقدتُه.

سدوري : (مستنكرة مستفِزّة) أيُّ عزيزٍ يستحقُّ أن تهلِكَ لأجلِه؟!

جلجامش : إنه إنكيدو. صديقي الأوحد. (يسرد حكايته بألم يتصاعد حتى البكاء) مَن اعتبرته أخي وأحببتُه أكثرَ من نفسي مرضَ وماتَ.. كان عَوني في قهرِ الإلهةِ عشتار، وقتلِ ثورِ السماءِ الذي سلّطته عليّ.. كان

شريكي في قتلِ خِمبابا الماردِ حارسِ غابةِ الأرز، وفي امتلاكِ أخشابِها النفيسةِ الغالية.. كان عَوني على وحوشِ الأدغالِ أسوداً ونموراً وضباعاً وفيَلة.. إنكيدو انتهى إلى ما يصير إليه كلّ البشر؛ إلى البيتِ الذي لا يَخرج داخلُهُ والدربِ الذي لا يرجعُ سالِكُه.. بكَيتُه آناءَ الليلِ وآناءَ النهار. ندبته ونُحتُ عليه سبعَ ليالٍ وسبعةَ أيّامٍ لعلّه ينبعثُ إلى الحياة، فسرحَ الدودُ على جثّتِه ووجهه.. فكيف لا يا صاحبةَ الحانة؟! كيف لا أنوحُ وأبكي عليه؟! كيف لا أهيمُ على وجهي في الجبالِ وفي البراري؟! إنكيدو صاحبي وخليلي.. ما كنتُ لأحزنَ هكذا لو هلَكَ أمامي كلّ البشر.

سدوري : أكان دمُه دماً ودمُ الآخَرينَ ماء؟! (يُعرض عنها فتفتله نحوها بقوّة) كفى نُواحاً وأجبْ سؤالي: أكان دمُه دماً ودمُ الآخَرينَ ماء؟!

جلجامش : إنكيدو ليس كالآخرين. كان وحشاً ولكنّه بهيئةِ إنسان. عاشَ في الغابةِ يرعى العشبَ ويفترسُ الوحوش. فاقتنصه المتآمرونَ من شعبي عليّ، وعلّموه أكلَ الخبز وشربَ الخمرِ وكلامَ البشر، وسلّطوه كي يقتلَني في ساحة البلدة. لكنه كان مِثلي

قوّةً ووَسامةً فأعجبَني. وحين صرعته أرضاً لم أُجهِز عليه، بل أنهضتُه وواسيتُه وعانقته وجعلته صاحبي.. مِن يومِها صار إنكيدو يدي وسيفي وبلطتي وقوسي وسَهمي. صار شريكَ نهاري وليلي وأحلامي ومغامراتي. صارَ بعضاً منّي فكيف لا أُفجَع بفقده؟! كيف لا أهيمُ على وجهي وأبكي؟! أتنكرين عليّ ذلك؟!

سدوري : نعم، أنكرُ عليك. ولا أصدِّقُ أنّ ملكاً ونصفَ إله يفجعُ بفقدِ أحد.

جلجامش : (وهو يهزّها بيديه) وهل يخلو قلبُ ملِكٍ من عاطفة؟!

سدوري : (وهي تهزّه بيديها) إن كان أنت.

جلجامش : (يهزّها بقوّة) ماذا تعرفينَ عنّي؟

سدوري : (تدفعه) أعرفُ ما أعرفُه. ألستَ مَن يوقظ شعبَه بقرعِ طبوله، ليؤخذوا إلى السُخرة المهلكة؟

جلجامش : بالسخرةِ بنَيتُ مدينتي وحصّنتها فحميتُ شعبي.

سدوري : وهل أبقَيت شاباً لأبيه إلاّ أزهقتَ روحَه بحروبِ مجدكَ وتوسّعاتِك؟

جلجامش : حروبي كانت لأمنِ شعبي وإكثارِ خيره.

سدوري : وأيُّ خيرٍ نالَهُ الشعب من جبروتِك؟

جلجامش : أأنتِ صمّاءُ لا تسمعينَ أم بلهاءُ لا تفهمين؟! لولا جبروتي لَجاعَ شعبي وأهلَكه أعداؤه.

سدوري : وحقُّ الليلةِ الأولى مِن كلّ فتاةٍ عروس، أكان لِخيرِ الشعبِ وبقائه؟

جلجامش : نعم، لِخيرِه وبقائه. رِجالُ شعبي ضعافُ الجسمِ ضعافُ الشجاعة. فوهَبتُهم ذرّيةً قويّةً جبّارة، فلاّحةً ومحارِبة. أنا الراعي الذي جعل غنمَه أقوى من ذئابِ الغابة.

سدوري : بل الراعي الذي يفترس غنمَه. هذا أنت يا جلجامش. وأنا سِدوري، فهل عرفتَني؟

جلجامش : (لنفسه) سدوري، سدوري.. (ثم لها) الآن تذكّرت. رأيتك مرّةً في موكبِ زواجٍ وكان ما كان يومذاك.. أمّا الآنَ يا سدوري، فسوف آخذك إلى مملكتي وأُعلي شأنك أمام الجميع.. إن أرشدتِني إلى الروحِ العظيمة.

سدوري : كفاك وهماً بماءِ الخلود.

جلجامش : خلودي ليس وهماً وكلّي ثقة.

سدوري : (بتهكّم خفيف) ثقةٌ بأبيكَ الشمسِ أم أمّك الكاهنة؟

جلجامش : بل بِحلُمٍ رأيتُه بعدَ دفنِ صديقي.

سدوري : وهل تصدِّقُ أحلامَك؟!

جلجامش : أحلامي كلّها لا تكذب. رأيتُ الآلهةَ اجتمعوا يتجادلون بشأني وشأنِ صديقي الذي فقدته. قالوا هذا جلجامشُ قد عاقبناه على إهانةِ عشتارَ بِموت صديقه، لكنه ابنُنا ولو كانت أمّه إنسانة، ولا يليقُ أن نتركَه للخزيِ والحزنِ أمامَ البشر، وسوف نعوّضُه بالخلود، إن استطاعَ الوصولَ إلى الروح العظيمة.

سدوري : لو كان هذا حقيقاً لدلّوكَ على دربها.

جلجامش : الآلهة يقولون ما يشاؤون.

سدوري : لِمَ لم تسألهم أنت؟

جلجامش : أنا كنت نائماً فكيف أسأل؟! لكني انطلقت في رحلتي أسألُ وأسأل. وها أنا الآن أسأل.

سدوري : وأنا سوف أرشدُك.

جلجامش : وسأعطيكِ ما تشائين ذهباً وفضّةً حينَ أرجع.

سدوري : أنا أريدُ أمراً أعظم.

جلجامش : سأجعلُكِ زوجتي وشريكةَ مُلكي، وتجلسين جَنبي على كرسيِّ عرشي.

سدوري : أريدُ أمراً أعظم.

جلجامش : ها أنا ذا أركع أمامَك بتواضع. (يفعل) وأعتذر عن ظلمي لشخصكِ وعريسك.

سدوري : أريدُ أمراً أعظم.

جلجامش : لم يبقَ ما هو أعظم. فماذا تريدين؟

سدوري : أريد وَعداً واحداً لا أكثر.

جلجامش : إن كنت أقدرُ عليه فسوف أنفّذُه.

(فترة صمت قصيرة مع موسيقا وشروق الشمس)

سدوري : عِدني إن رجَعت إلى مملكتِك، أن تأخذَ الناسَ بالرحمة والعدالة. (يُعرض عنها قليلاً فتلاحقه وتواجهه) لسوف أصفحُ عنك من كلّ قلبي. ولسوف يغفرُ لك الناسُ كلَّ ظُلامة، بل يحبّونك ويمجّدونك. سينصبُونَ تماثيلَك في كلّ ساحة، وينقُشونَ أمجادَكَ على البوّاباتِ الحجريّةِ العالية.. وهكذا يخلّدونَ ذكراكَ إلى الأبد.

جلجامش : أريدُ تخليدَ جسدي وروحي أيضاً.

سدوري : اخلُدْ إن استطعتَ يا جلجامِش. وسواءٌ خلدتَ أم لم تخلُدْ لا بدَّ من العدالة.

جلجامش : سأجعلُ شعبي أسعدَ كلِّ الشعوب، وأجعل عاصمتي منطَلَقَ الخيرِ والعدالة.. فمِن أين دربي؟

سدوري : تخرج من الباب وتنعطفُ إلى جهةِ الشَمالِ وتمشي، فتقودُكَ الدربُ إلى الجبلِ الأزرق.. وتمضي إلى القمّة الأخيرة.

جلجامش : وبعد ذلك؟

سدوري : لا شيء بعد ذلك، فتلك نهايةُ العالَم.

جلجامش : وأين تكونُ الروحُ العظيمة؟ وكيف أعثُر عليها؟

سدوري : تراها في ذِروة القمّة، إن صدقَ الزاعمون.

جلجامش : (يهمّ بالخروج) سيصدُق الزاعمون.

سدوري : انتظر، لا تذهب. (تحمل إليه الخبز) ضع هذا في جعبتك.

جلجامش : هاتي. (يضع الخبز في الجعبة) الخبزُ يؤكَلُ أيضاً. (يخرج)

(ضربات موسيقية. تخفت الإضاءة)

-٢-

مع مدير المسرح

(القناع ينهض من أوّل مقعد في الصالة وهو يصفّق ويهتف صاعداً إلى خشبة المسرح)

القناع : أحسنتما.. أداءٌ بتقنيّةٍ عالية، أحسنتما وأبدعتما.

(تقوى الإضاءة ويعود الرجل من الكواليس فينحني مع زميلته للقناع بتحيّة كلاسيكية)

المرأة : (مع التحية) شكراً سيّدي وأستاذي.

الرجل : (مع التحية) سيّدي وأستاذي ومديرَ المعهد.

القناع : هذا مشروعُ تخرّجٍ أفتخرُ به، وسوف تفتخرُ به مِصرُ وفرنسا.

المرأة : هل سنعرِضُه في مِصرَ وفرنسا أيضاً؟

القناع : لقد قرّرتُ ذلك الآن.

الرجل : لكنه مشهدٌ تدريبيٌّ قصير.

القناع : لقد اختَرتُهُ لحفلِ التخرّج، وسوف أختارُ المشاهدَ المتميّزةَ الأخرى، التي يقدّمُها بقيّةُ الطلاّبِ والطالبات، وأجعلُ منها عرضاً مسرحيّاً مهمّاً، وأقدّمُه في المدنِ المصريّةِ الكبرى، وفي فرنسا.

الرجل : (مقاطعاً بلطف) لكنْ سيّدي..

القناع : لا تقطعْ بهجتي أرجوك. هذا المشهدُ تنقيبٌ ذكيٌّ في الأدبِ الشرقيِّ القديم، يبرزُ بعضَ ما فيه من أساطيرَ إبداعيّةٍ خالدة، تصلُ حضارةَ الشرقِ القديمِ بِحضارةِ الغربِ المعاصِر.

المرأة : باسمي وزميلي أشكرُكَ بحرارة. ونرجو أن تسمحَ لنا أن نفاجئك، بِمشهدٍ إضافيٍّ أعدَدناه منذ أيّام، وتدرّبنا عليه بسرعة، وجعلناه خاتمةَ الحكاية،

الرجل : (مكملاً) مع أنه ليس من حكايةِ جلجامش، بل التراثِ الدينيِّ الشرقيِّ القديم.

القناع : أنتما مشهوران بالتنقيبِ والأفكارِ الفنّيةِ المبتكَرة. لكنّي وإن كنتُ مستشرقاً وباحثاً في جميعِ الأديان، لا أشجّعُ طلاّبي على مَسرحةِ الدين في معهدي، خوفاً عليهم من المُخاطَرة.

المرأة : المخاطَرةُ بِماذا سيّدي؟

القناع : بانتهاكِ المقدَّساتِ وإثارةِ الفِتَنِ الدينيّة.

الرجل : فكرة مشهدِنا توافقُ الأديانَ ولا تنتقدُها،

المرأة : (مكملة) وهدفُنا من هذا المشهد أن يكون جسراً أو مجال التقاء، بينَ قيم الرسالاتِ الدينيّةِ الشرقيّةِ القديمة، وقِيَمِ الفلسفاتِ الاجتماعيّةَ الغربيّةِ الحديثة.

المرأة : فاسمحْ لنا بعرضِهِ واحكُم بعدَ ذلك.

القناع : كما تريدانِ كما تريدان. أرى وأسمعُ ثم أحكُم. (يعود إلى الصالة)

الرجل : (للكونترول) كونترول.. المشهدُ الثاني من جلجامش. (ويخرج مع المرأة إلى الكواليس)

(إظلام تدريجي وموسيقا)

-٣-

قمة جبل نهاية العالَم

(إظلام تام) (ثلاث دقّات قويّة على الصنج)

(نسمع جوقة خارج المنظر ترتّل مِن سِفر الجامعة في ظلام على المنظر، ثم في إضاءة تدريجية)

الجوقة : أعطِ نصيباً لسبعة وثمانية، لأنك سوف تحتاجُ فيعطيك سبعةٌ وثمانية. أعطِ نصيباً لسبعةٍ وثمانية، لأنك سوف تحتاجُ فيعطيك سبعةٌ وثمانية، ومنفعةُ الأرضِ للكلّ. ارمِ خبزَك على وجه الماء ليأكلَ سمكُ الماء، وانثر حَبّك على وجه الأرض ليأكل طيرُ السماء، ومنفعةُ الأرضِ للكلّ. منفعةُ الأرضِ للكلّ. هكذا يفرحُ الناسُ ويفرحُ الله. هكذا يفرحُ الناسُ ويفرحُ الله.

(الإضاءة الضبابيّة تتحوّل إلى زرقاء ثم ماسيّة ساطعة، وتدخل المرأة في زيّ الروح العظيمة)

الروح : جلجامش.. جلجامش.. أين أنت يا ملِكَ العالَم؟

(جلجامش يأتي من الخارج. سيفه ذهبي. وتاجه ذهبي ضخم مرصّع بالجواهر)

جلجامش : (داخلاً ومحيّياً بإجلال) أيتها الروح العظيمة.

الروح : (معاتبة بقوّة) أخيراً أتيت؟!

جلجامش : تأخّرتُ أيّاماً قليلةً لا أكثر.

الروح : ملِكُ العالَمِ لا يتأخّرُ عن موعدِه.

جلجامش : أيتها العظيمةُ الخالدة، شغلَتني مصالِحُ البشر.

الروح : ولأجلِها استدعيتُك.

جلجامش : أنا الآن طَوعُ أمرِك.

الروح : أتذكرُ يومَ وقفتَ هنا أوّلَ أمرِك؟

جلجامش : كيف أنسى ذلك اليوم، وفيه وهبتِني ماءَ الخلودِ بأمرِ الآلهة؟!

الروح : بل بأمرِ الله. وكنتَ آنذاكَ جاهلاً كبقيّةِ الناس، وتتخيّلُ قدُراتِ اللهِ في صورٍ تسمّيها آلهة. وقد خاطبتُكَ يومَذاكَ على قدْرِ عقلِك.

جلجامش : سامحيني. كانت زلّةَ لسانٍ من ذكرياتي القديمة.

الروح : فهل تذكرُ الوعدَ الذي قطعتَهُ للسماء، كي تمنحَكَ الخلود؟

جلجامش : أذكرُ أني وعدتُ بنشرِ الخيرِ والعدالةِ بين جميعِ البشر، وعلى مرِّ الزمان.

الروح : أتذكرُ كم مضى مِن الزمانِ على وعدِك؟

جلجامش : وهل يَحسُبُ خالدٌ سنواتِ الزمان؟!

الروح : اللهُ لا يغفَلُ عن حسابِ الزمان.. وقد مضى على الوعدِ ثلاثةُ آلافِ عامٍ وآنَ أوانُ حسابِك.

جلجامش : (كاتماً خوفه وغضبه) استدعيتِني لتحاسبيني؟!

الروح : نعم، وبأمرِ الله.

جلجامش : وماذا بعدَ الحساب؟

الروح : سأنهي وجودَك.. أو أبقيكَ من الخالدين. فماذا حقّقتَ من وعدِك؟

جلجامش : إنها ثلاثةُ آلافِ عامٍ فماذا وكيف أتذكّر؟!

الروح : الحبّةُ شاهدٌ على البيدر. والشجرةُ شاهدٌ على الغابة.

جلجامش : أيّةَ حبّةٍ أختار، وأيّةَ شجرة؟

الروح : أنا أختارُ وأذكِّرُك. ماذا فعلتَ بِمَمالك الأرض؟

جلجامش : فعلتُ ما أمرتِني به يومَذاك؛ وسّعتُ مملكتي حتى شمِلَت كلَّ الممالك.

الروح : ماذا عن شعوبِ تلك الممالك؟ هل حكَمتَها بقوّةِ الحقِّ أم بحقِّ القوّة؟

جلجامش : حكمتُها كما أحكمُ شعبي؛ نشرتُ الخيرَ والعدالة بين الجميع.

الروح : أيكونُ خيرٌ وعدالةٌ والسيفُ على رقاب الجميع؟!

جلجامش : القوّةُ يدُ العدالة.

الروح : القوّةُ يدُ الظلمِ أيضاً، فيا لها مِن حكمة!!

جلجامش : الحكمةُ ما ينفعُ الناسَ وقد فعلتُ ما ينفعُ الناس؛ اتركي المحكومَ لشأنِه يتمرّدْ على حاكِمه فتسيلُ الدماء. اتركي الجنديَّ لشأنه يهربْ أمامَ العدوِّ ويسلّمْ له البلاد. اتركي الفلاّح لشأنِه يجلسْ كسولاً في ظلِّ كوخِه، فتمتلئُ الأرضُ شوكاً وينقطعُ الغذاء.

الروح : ألم تتساءلْ لماذا يتمرّدُ المحكومُ ويهربُ الجنديّ؟ ولماذا يتقاعسُ الفلاّح؟

جلجامش : أنا لا أسألُ ولا أتساءل، لأنني أنا جلجامش. أنا الذي رأى كلَّ شيءٍ وعرَفَ كلّ شيء.

الروح : اثنان خيرٌ من واحدٍ وثلاثةٌ خيرٌ من اثنين.

جلجامش : لماذا اثنانِ ولماذا ثلاثة؟

الروح : إذا اضطجعَ اثنانِ يدفآن. أمّا الواحدُ فكيف يدفأ؟

جلجامش : إن عجزَ الواحدُ عن ثوبٍ أو جلدِ حيوانٍ فلا يستحقُّ أن يدفأ. وإن عجز عن بيتٍ أو كوخٍ أو مَغارةٍ فلا يستحقّ أن يدفأ.

الروح : اثنان خيرٌ من واحدٍ وثلاثةٌ خيرٌ من اثنين. إن سقطَ واحدٌ أقامَه رفيقه أو رفيقاه، وويلٌ لِمَن هو وحدَه حين يسقط. والخيرُ ليس في واحدٍ بل الخيرُ في الكلّ.

جلجامش : الكلّ باطلٌ دون واحدٍ يكون رأسَ الكلّ.

الروح : أمِن يدِ اللهِ أن يطغى واحدٌ على الكلّ؟!

جلجامش : بل من يدِ الكلّ؛ هم القطيعُ الذي يحتمي براعيهِ ويمشي بإشارته.

الروح : فلماذا يهرب الجنديُّ إن استطاعَ الهرب؟

جلجامش : لأنّ الجبنَ مِن جِبِلّة الناس.

الروح : كلاّ. لأنّ دمَه يراق لأجلِ غيرِه. (ينفتل عنها فتلاحقه) ولماذا يتكاسلُ الفلاح في ظلِّ كوخه؟

جلجامش : لأنّ الكسلَ من جبلّة الناس. والجِبلّة مِن يد الله.

الروح : أمِن يدِ الله أنّ يداً تزرع كلَّ زرعٍ وتأكل خبزَ شعير، ويدٌ تمسك السوطَ فتأكل خبزَ حِنطة؟

جلجامش : لا فرقَ بين شعيرٍ وحِنطة، ما دام الكلُّ يفنى والموت مِن يدِ الله.

الروح : فهل مِن يدِ الله أن أشقى أنا ويسعَدُ آخَر؟!

جلجامش : أليس من يد الله أنّ هذا عبدٌ وهذا سيّد؟ هذا حَمِقٌ وهذا عاقل؟ هذا غبيٌّ وهذا ذكيّ؟

الروح : أمِن يدِ الله بُطْلٌ مكانَ الحقِّ وجَورٌ مكانَ العدالة؟! هي ذي دموعُ المظلومينَ دائمةٌ ولا عزاءَ لهم ولا يأملونَ بخلاص. يغبطون الذين لم يولدوا فلا يرَون ما يجري ولا يتألّمون. ويغبِطون الموتى لأنهم لا يرَون طمعَ الإنسان بتعب قريبِه وأكلَه لحمَ أخيه. هذا هو باطلُ الأباطيل.

جلجامش : نعم، هو باطل الأباطيل؛ عاشقُ الفِضّةِ لا يشبعُ من الفضّة. والطمعُ مِن جبلّةِ الناس.

الروح : بل من جبلّة الأقوياء. وكلّما كثُرَت الخيراتُ ازدادَ آكِلوها، ولا منفعةَ لصاحبها غيرَ رؤيتِها بعينه.. لكنّ فوقَ العالي علِيّاً يرى ويسمع.. ولسوف يَحكُم.

جلجامش : وهل عمِلتُ أنا غيرَ ما يعمل؟! أليس هو الأقوى الذي يحكمُ الكلّ؟!

الروح : لقد أعماكَ غرورُ القوّة، فتمادَيتَ حتى على الله.

جلجامش : أنا لم أقصِدْ هذا يا عظيمة.

الروح : انصرِفْ واعدُدْ أيّامَك الباقية.

جلجامش : (يخرّ راكعاً على ركبتيه) أنا آسفٌ نادمٌ ومستغفر. أعترفُ أنّي مخطئ،

الروح : كان عليك أن لا تخطئ.

جلجامش : أنا اعتذرتُ فسامِحيني.

الروح : لستُ أنا مَن يسامِح. وما أنا إلاّ وسيلةٌ في يدِ الله.

جلجامش : ما مصيري إذنْ، ما مصيري؟

الروح : انصرِفْ واعدُدْ أيّامَك. وقريباً تكونُ من الهالِكين. قريباً تكونُ من الهالكين.

(ضربات موسيقية وإظلام مفاجئ ثم إضاءة)

-٤-

مع مدير المسرح

(الرجل والمرأة ينحنيان للصالة بتحيّة مسرحيّة كلاسيكية، ثم يستقيمان ويفتحان ذراعيهما باتجاه القناع الجالس في الصالة، كأنما يريدان أن يحتضناه، فيصعد نحوهما واجماً)

الرجل : (للقناع) المشهدُ صدمةٌ فكريّةٌ فنّية، أليس كذلك؟

القناع : بل هو تجربةٌ فاشلةٌ وخاليةٌ من الفنِّ وتُفسِدُ مشروعَ التخرّج. ويجبُ إلغاءُ المشهدِ أو استبداله قبل نهايةِ الامتحانات. وإلاّ فلا نجاحَ لكما ولا تخرّج، ولا عرضَ في مصرَ ولا فرنسا.

المرأة : أخبِرنا أوّلاً ما العيبُ في هذا المشهد؟

القناع : إنه ليس حادثةً مسرحيّةً بل مجادلةٌ فكريّةٌ مستمرّة، وهي من دراستِكما في كليّةِ الفلسفة.

الرجل : المشهدُ ليس من كتبِ الفلسفة، بل من سِفرِ الجامعةِ في الكتاب المقدّس، وحسبَ توجيهِك.

القناع : أنا وجّهتُ إلى البحثِ عن المشترَكاتِ بين الشرقِ القديمِ والغربِ المُعاصر.

المرأة : ونحن اختَرنا الكتابَ المقدَّس، لأنه أساسٌ مشترَكٌ للثقافتينِ اليهوديّةِ والمسيحيّةِ في العالَم كلِّه، فهو من أقوى المشترَكاتِ بينَ الشرقِ القديمِ والغربِ المُعاصر.

الرجل : أمّا اختيارُنا لسِفرِ الجامعة، فلأنه يوحّدُ البشريّةَ كلَّها على فكرةٍ عادلة.

القناع : هذا ادّعاءٌ وتبرير. والحقيقةُ أنكما انتزعتما جُملاً معيّنةً من سفر الجامعة، وأخرجتماها عن هدفِها الدينيّ من إصلاحٍ وتعاطُفٍ وإحسان، وجعلتماها دعوةً اشتراكيّةً ثوريّة، تقسمُ المجتمع إلى معسكرَين وتحرّضُ على الصراع. هذا تلاعبٌ واستخدامٌ خبيث.

المرأة : نحنُ لم نتخابث ولم نتلاعب وقدّمْنا الأفكارَ بأمانة. وسِفرُ الجامعةِ موجودٌ ويمكنك المقارنة.

القناع : مهما تكلّمتُ فلا فائدة.. في دماغَيكما فكرةٌ حاكمةٌ مسيطرة.. في دماغَيكما جرثومةٌ فلسفيّة.

الرجل : بل جوهرةٌ وجدناها في أقدمِ كتابٍ دينيٍّ يخصّك، فلماذا ترفضُ أن نكشِفَها للكونِ كلّه؟!

القناع : لأن الدين لا يعلِّمه مُلحدانِ يزوّرانِه. ولأنّي أعرَفُ منكما بتراث أمّتي وبقوميّتي اليهوديّة.

المرأة : اليهوديّةُ ليست قوميّةً بل هي دين فقط.

الرجل : ونحنُ لسنا أطفالاً ولا جهلاء.

القناع : انصرفا من أمامي؛ أنتما راسبان.

الرجل : (بعد أن يتبادل نظرة خاطفة مع المرأة) يشرّفُني أنّا رسبْنا عندكَ ونجحنا مع الحقيقة.

القناع : كفى. اخرُجا من معهدي دون عودة. أنا أطردكما.

المرأة : الطردُ أشرفُ من البقاءِ عندَك.

الرجل : ولن نكفَّ عن دعوتِنا للعدالة، وكشفِ المسألةِ اليهوديّة.

(إظلام مفاجئ)

المنظر الثاني

مشفى الأمراض العصبيّة الحكومي

-١-

مكتب مدير المشفى

(إضاءة تدريجية) (الرجل والمرأة بثيابهما العاديّة، يذرعان المكان متقابلين جيئة وذهاباً)

(يدخل القناع في زيّ طبيب فيبادران إليه)

الرجل : هل أنت رئيسُ المشفى؟

المرأة : هل أنت كبيرُ الأطبّاء؟

القناع : مهلاً، مهلاً، مهلاً. أنت مدرّسُ الفلسفةِ الذي طُرِدَ من معهدِ التمثيل؟

الرجل : أنا مدرّسُ الفلسفةِ الذي طُردَ من معهدِ التمثيل، ومِن سِلكِ التعليمِ أيضاً.

المرأة : وأنا زميلته.

القناع : أنا رئيسُ المشفى، وكبيرُ أطبّاءِ الصِحّةِ العصبيّة.. والعقليّة.

الرجل : سيّدي، نحن هنا كالمساجينِ منذ أسبوع، ولا يسمحون بمقابلتك.

القناع : لأنّي كنتُ مشغولاً بقضايا كثيرة، (يخرج من جيب مئزره كتاباً) فما حكايةُ هذا الكتاب؟

المرأة : (تأخذ الكتاب وتشير به) إنه في تاريخِ المسألةِ اليهوديّة، ألّفته أنا وزميلي باسْمَين مستعارَين، ووزّعناه سرّاً.

الرجل : لكنّ استخباراتِنا عرفَت وقبضت علينا، (يأخذ الكتاب ويشير به) وحاكمَنا قضاةُ أمنِ الدولةِ على كتابٍ تاريخيٍّ موثّق، بما اعتبروهُ جرائمَ كبرى بِحقِّ البشريّة. فالنائبُ العامُّ الذي يمثّلُ شعبَنا، هاجَمنا كأنه يمثّلُ الصهيونيّةَ العالَمية، فاتّهمَنا بالعداءِ للساميّة، والسخريةِ من المحرَقةِ اليهوديّة، والتحريضِ على

شعبٍ صديقٍ مُجاورٍ. مع أنّ هذه التهَمَ كلَّها إن كانت صحيحة، لا يشملُها أيُّ قانونٍ مصريّ.

القناع : إن حدثَ هذا فهو عتابٌ وتنبيه، فلم يصدرْ بشأنِكما حُكمٌ أو عقوبةٌ بشأنِ المسألةِ اليهوديّة.

المرأة : لكنّهم عاقبونا بجرائمِ الإخلالِ بأمنِ الدولة: وأكبرُها تأييدُ التطرّفِ الإسلاميِّ والإرهاب، ومقاومةُ التزام دولتِنا بمعاهدةٍ ، والتحريضُ على السياسةِ الخارجيّةِ لدولتِنا، القائمةِ على التزامِنا بمكافحةِ الإرهاب، وعلى التقيّدِ بالمعاهداتِ وبالسلامَ والاعتدال.

القناع : كفى يا امرأة. هل كانت الأحكامُ بقانونٍ أم دونَ قانون؟

الرجل : قانونُ الطوارئِ يلغي كلَّ قانونٍ ويُخضعُ شعبَنا كلّياً لأمريكا، واتفاقيّةُ كامب ديفيد تُخضعُ شعبَنا كلّيّاً لإسرائيل.

القناع : هذا رأيُكما وهو خاطئ. وقانونُ الطوارئِ قانونٌ يقرُّه مجلسِ الشعب.

المرأة : بل خرِسَ عنه ما يسمّى مجلِسِ الشعب.

الرجل : وتواطأَ عليهِ ما يسمّى مجلسَ الشعب، مع أجهزتِنا البوليسيّةِ والعسكريّة.

المرأة : وهو ليس من تشريعاتِنا القانونيّةِ ومخالِفٌ للدستور.

الرجل : ويلغي حرّيةَ البحثِ والاعتقادِ والتعبير، وخصوصاً في المسألةِ اليهودية.

القناع : (يأخذ الكتاب ويشير إليه) وأنتما بِهذا الكتابِ تحارِبانِ التزاماتِ دولتِنا وقانونَ الطوارئ. وقد تصرّفتما بِما تعتبرانِهِ مسؤوليّة. والدولةُ بالتالي تصرّفَت بِمسؤوليّة. فالطرفانِ متعادلان.

المرأة : كيف تقولُ: متعادلان؟ اعتقالٌ وإهانةٌ وتعذيبٌ وسَجنُ سنتَين..

الرجل : وغرامةٌ ضخمةٌ وتسريحٌ من الوظيفة، ومَنعُنا من التدريسِ في أيّةِ مدرسة.

القناع : لكنّكما خرجتما من السِجنِ فاستأنفتما توزيع الكتاب، بلا تعقّلٍ ولا تفكيرٍ في العواقب، فقدّمتما للشرطةِ مبرّراً كافياً لاعتقالِكما وإحضارِكما إلى هنا، واتهامِكما بالجنون.

المرأة : اقرأ فتعرفْ أين العقلُ في عالَمنا الآنَ وأين الجنون.

القناع : (يشير بالكتاب) مضمونه كلّه في العنوان. (ثم مشيراً إلى العنوان الكبير والفرعي بمبالغة تهكّميّة)

الثأرُ الأبديّ.. كيف صارت مِحرقةُ اليهودِ محرقةً للعالَم. لقد فرَغتُ من قراءته منذ قليل؛ (يعطي الكتاب للرجل بلا اهتمام ويتابع لكليهما) ففي إضبارتيكما نسختان.

الرجل : (فاتحاً الكتاب) وهل وجدت فيه حماقةً منّاً أو جنوناً أو جريمة؟

القناع : وجدتُ حماقةً أخطرَ من جريمة، ودليلاً على أنكما ساذجانِ وجاهلان، ولا تعرفان خطورةَ البحثِ في المسألةِ اليهوديّة، وخصوصاً في المحرقة.

المرأة : المحرقةُ القديمةُ صارت حُجّةً صهيونيّةً مستمرّةً لإرهابِ العالَم كلِّه، وللثأرِ التوراتيِّ الأبديّ، والابتزازِ الماليِّ اليهوديِّ الأبديِّ أيضاً.

الرجل : وعلى كلِّ مثقّفٍ شريفٍ في هذا العالَم، أن يفضحَ هذا الإرهابَ والابتزاز.

المرأة : هذا كلّ ما فعلناه، فكانت نهايتنا في مشفاك.

القناع : (بابتسامة ملاطفة خبثة) بل كانت نهايةَ الجزءِ الأوّلِ من الكتاب. أمّا الجزءُ الثاني فسوف تؤلّفانهِ بإشرافي هنا، وسوف يكونُ برهاناً على شفائكما

من أزمةٍ عصبيّةٍ عابرة، وعلى يقَظةِ ضميرٍ وصحوةٍ عقليّة.

المرأة : إذنْ سنكذِّبُ هذا الكتاب، ونعترفُ بأننا أخطأنا ثم اكتشفنا الحقيقة. ثم نقدّمُ حقائقَ جديدة.

الرجل : ونعلنُ الندمَ والتوبة، ونعتذرُ عن هذا الكتابِ من جميعِ القرّاء، ومن جميعِ اليهودِ في العالَمِ كلِّه، وخصوصاً أحفادَ الضحايا الأبَديّينَ للمحرقة، وأحفادَ أحفادِهم حتى الأبد.

القناع : وبناءً عليه، تُرَدّانِ إلى الوظيفة، ويضجُّ الإعلامُ باسميكما واسمِ الكتاب، وتنالانِ أوسمةً ومكافآتٍ سخيّة، وجوائزَ من هيئاتٍ دَوليّةٍ عليا ومحترَمة، ويُطبَعُ من الكتابِ مليونُ نسخةٍ بل ملايين، وتنالانِ كلَّ أرباحِها.

المرأة : الجنونُ أفضلُ من عقلِك.

الرجل : والنجمُ أقربُ من مَطلبِك.

(إظلام مفاجئ)

-٢-

باحة مشفى الأمراض العصبيّة

(إظلام تام. يبدأ المشهد في الظلام ويستمرّ قليلاً ثم يضاء بالتدريج، والمشهد هو رياضة مشفى الأمراض العصبية: الرجل والمرأة في ملابس المشفى وهي كملابس السجون، يهرولان مع إيقاع الطبل متجاورَين دائرَين في الباحة، وقد شدّ كلّ منهما زنديه وقبضتيه إلى صدره، محاولاً أن يرفع ركبتيه في الهواء قدر الإمكان، وخلفهما القناع في ملابس رياضة، وهو يجلدهما بالتوالي بالسوط الذي كان مع جلجامش، وهما يزعقان عند كلّ جلدة: آه. والقناع يوعزّ بقوّة: أعلى، أعلى، فيحاولان رفع ركبتيهما في الهواء أعلى حتى يتعبا وتتراخى حركاتهما فيصرخ بهما):

القناع : قفا، قفا. (يتوقفان لاهثَين متهالكَين) انتهَت الرياضة.

(الرجل والمرأة يتوجّهان إلى عمق المنظر وهما يردّدان لنفسيهِما لاهثَين)

كلاهما : انتهت الرياضة.

القناع : (يصرخ بهما) قفْ. (يتوقّفان، فيصرخ بهما مشيراً إلى دوش مفترَض) إلى الدوش فوراً.. وبالملابسِ الكاملة.

كلاهما : (متّجهين إلى الدوش المفترَض) إلى الدوش فوراً.. وبالملابسِ الكاملة.

(القناع يبقى واقفاً يراقبهما، وأحياناً يداعب السوط متبسّماً متشفّياً)

الرجل : (ملتذّاً بالماء) أوّوه. ماءُ المشفى عصيرُ تفّاح.

المرأة : (ملتذّة) ماءُ المشفى تغريدُ بلبل.

الرجل : (متألّماً) أوووي.. زخّةٌ مُحرِقة.

المرأة : (مرتعدة من الألم) جلدٌ تسلَّخ.

الرجل : لحمٌ تهرّأ.

المرأة : إحّحح.. زخّةٌ جليديّة.

الرجل : (مرتعداً) الموتُ بالسكتة القلبيّة.

المرأة : (مرتعدة) والإبرةِ الإسعافيّة.

الرجل : والحَبّةِ البنفسجيّة.

المرأة : أوووي.. حريقٌ أقوى من الصاعقة.

الرجل : موتٌ أسرعُ من الصاعقة.

المرأة : موتٌ أسرعُ من الموت.

(القناع ينصرف فيبتعدان عن الدوش المفترَض وهما يرتعدان ويلهثان) (إضاءة ملوّنة متقطّعة ثم بقعيّة على الرجل والمرأة جالسين، وكلّ منهما يضغط صدغيه بيديه، ويتكلّم لنفسه كأنه وحده حتى آخر هذا المشهد)

المرأة : المشفى سَمّمَنا بالمهدِّئات.

الرجل : المشفى ابتلانا بداء الإدمان.

الرجل : (ناهضاً ودائراً في المكان) رأسي لم يعد يتحمّل.

المرأة : (ناهضةً ودائرة في المكان) رأسي سوف يتفجّر.. أنينُ حزانى وقهقهةُ شياطين.

الرجل : (دائراً في المكان) أنينُ حزانى وقهقهةُ شياطين.

المرأة : (متجهة إلى طرف من مقدّمة المسرح) أمٌّ مهجورةٌ وأبٌ غارقٌ في لَذّاتِه.

الرجل : (متجهاً إلى الطرف الثاني من مقدّمة المسرح) أبٌ بستانِيٌّ في حديقةِ قصرِ أبيها.

المرأة : (مشيرة إلى مكان في الخارج نفترض أنه في خيالِها موقع قصر أبيها) تاجرُ البترولِ صاحبُ المليارات، رفضَ استقبالَ ابنته.

الرجل : أبي البستانِيُّ في قصرِ أبيها، استقبلَني خارجَ قصرِ السيّد، (مشيراً إلى الموقع الافتراضي لقصر أبيها) وفي غفلة من الحرّاس والمخبرين.

المرأة : قلت لهم أخبروه أني فُصِلتُ من الوظيفة.

الرجل : عانقني تحت المطرِ وافتخرَ بي؛ أنت يا ولدي فيلسوفٌ وفنّان، وما طردوك إلاّ لأنهم سفلة.

المرأة : الـــحَرُّ يُغرقني بعرَقي وينخُرُ في عظامي. وكلابُ أبي تَنبحني عندَ بابِ الحديقة.

الرجل : بكى بدموعٍ حارقةٍ غزيرة. وقال اتهموك بالجنونِ لِيدمّروك، وسوف يلاحقونك حتى يأخذوك إلى مشفى المجانين. فاذهبْ إلى القرية بسرعة. إلى أمّك وأقاربِك.

المرأة : بقيَ في قاعتِهِ المبرَّدة، وأرسلَ خادمَه ليطردَني.

(يدخل القناع في زيّ خادم قصرٍ ويخاطبها من بعيد باستعلاء)

القناع : السيّدُ يقولُ أخبرْها أنها ليست بنتي بل خليلةُ ذاك الحقير.. وأني أطردُها كما طردوها من الوظيفة. ولا أتهمُها بالجنونِ بل أصفُها بالحقارة. وأخبرها أنها ملحدةٌ ومتمرّدةٌ وزعيمةُ أوباش. وهي عارٌ على العائلة والوطن كلِّه. (يخرج)

المرأة : (لنفسها) أمّي في شقّةٍ صغيرةٍ مستأجَرة. منبوذةٌ ووحيدة. وخادمُها سجّان ومخبِر.

الرجل : (لنفسه) أمّي ماتت من حزنِها عليَّ ومن تعبِ السنين.

المرأة : أمّي لم تجرؤ على بقائي عندَها ليلةً واحدة. قالَت لِمَ لم تكلّميني بالهاتفِ قبلَ أن تحضُري؟ سيخبرُهم خادمي.

الرجل : وقفتُ على قبرِ أمّي ألقي عليها النظرةَ الأخيرة، فغافلوني وقيّدوني وأخذوني إلى هنا. (يركع)

المرأة : غافلوني وقيّدوني وأخذوني إلى هنا. (تركع)

(إظلام مفاجئ وموسيقا)

-٣-

مكتب مدير المشفى

(المرأة والرجل بلباس مشفى المجانين، والقناع في زيّ مدير المشفى، في حوار حادّ)

القناع : نحن لا نحتجزُ أحداً إلاّ لسببٍ مرَضيّ.

المرأة : نحنُ هنا لسببٍ سياسيّ.

القناع : معظمُ زبائني يقولون ذلك.

المرأة : نحنُ لسنا زبائن. ومشكلتنا ليست من اختصاصِك.

القناع : اختصاصي هو الأمراضُ العقليّة. وحتى الآنَ لم تثبِتا أنكما عاقلان.

الرجل : هل أنت طبيبٌ نفسيٌّ كما تدّعي، أم محقّقٌ عنيدٌ جاهل؟!

القناع : (ساخراً) أنا لا أدري، فما رأي السيّدة؟

المرأة : السجنُ أهونُ من مشفاكَ وسِحنةُ الشرطيِّ أهونُ من سِحنتِك.

الرجل : ويجبُ أن تحوّلنا إلى الشرطة.

القناع : مهلاً مهلاً مهلاً. إصرارُكما يعني مشكلة، (مشيراً إشارة الجنون) وحين أنقّبُ عن سببِ المشكلة، وأستخرجُه من العقلِ الباطن، تنحلُّ العقدةُ وتنتهي المشكلة. (ثم للمرأة) فحدّثيني بكلِّ صراحة.

المرأة : عمَّ أحدّثك؟

القناع : عن بنتك السوداء؛ مَن والدُها؟

المرأة : ليس لي بنتٌ ولستُ متزوّجة.

القناع : مكتوبٌ في مِلفِّك أنه ليس لك بنتٌ ولستِ متزوّجة، وأنك تعيشينَ مع زميلِكِ دونَ زَواج.. لكنني أتحرّى الحقيقة.

المرأة : أيّة حقيقة؟

القناع : بنتُكِ السوداءُ مَن والدُها؟

المرأة : ليس لي بنتٌ سوداءُ ولا بيضاء.

القناع : (يخرج من جيب مئزره حافظة يخرج منها إبرة ويحقن المرأة في العضد) بنتك السوداءُ مَن والدُها؟

المرأة : ليس لي بنت ولست متزوّجة.

القناع : أعرفُ هذا وأسألُ حتى أعرف: بنتك السوداءُ مَن والدُها؟

المرأة : (كأنما لنفسها) مَن والدُها؟ (القناع يومئ إيجاباً) والدُها حبيبي وزوجي الذي أمامَك. (مشيرة إلى الرجل) وهي بيضاء شقراء. (تقهقه) وليست موجودةً على الإطلاق.

القناع : (زاجراً) ليست موجودة على الإطلاق؟

المرأة : (مصحّحة) هي موجودةٌ على الإطلاق. عمرُها تسعُ سنوات. ومديرُ المدرسةِ يعشقُها ويريدُها خليلةً وعمرُه ثمانون. (تقهقه) ثمانون سنةً وعشرُ ساعات ودقيقتان.

القناع : (يعيد الإبرة إلى الحافظة) كلامٌ جميل. (ثم للرجل) وأنت يا فيلسوفَنا المحترم؛ ماذا فعلت بولدِك؟

الرجل : أعطني الإبرةَ أوّل.

القناع : أنت مريضٌ جيّدٌ ومتعاون. (يحقنه في العضد) وقد وفّرتَ عليَّ التعب. (يعيد الإبرة إلى الحافظة) فماذا فعلتَ بولدك؟

الرجل : أأنت مجنونٌ لتسألَني؟! أخبِرْني فأخبرك.

القناع : حسناً، حسناً. لماذا قتلتَ ولدَك؟

الرجل : أتمنى أن أقتلَ كثيراً من الناس. لكنّي لم أقتلْ ولا أستطيع.

القناع : (يفاجئ الرجلَ بإبرة ثانية) لكنْ قتلتَ ولدَك.

الرجل : افرضْ أنّ لِيْ ولداً فلماذا أقتلُه؟

القناع : أنت أستاذٌ في الفلسفة، ولا تعرفُ لماذا يقتلُ الرجلُ ولدَه؟!

الرجل : لا والشياطينِ لا أعرف. أخبِرني أنت.

القناع : لأنك تغارُ على زوجتك.

الرجل : لكنها أمُّه حسْبَ كلامك.

القناع : هي أمّه حقّاً وزوجتك حقّاً، وأنت تغارُ عليها منهُ ليس حسْبَ كلامي، بل حسبَ المناهجِ النفسيّةِ العلميّة، التي تدرَّسُ في جامعاتِ العالَم المتحضّر، وجامعاتنا المِصريّة العريقة. فلماذا قتلتَ ولدَك؟

الرجل : قتلته لأنه قتلَني. قتلني أنا والدَه. ما كادَ يبلغُ سنَّ الشبابِ حتى صفَقَ البابَ وراءَه دونَ رجعة. أدارَ لي ظهرَه كأني عدوُّه. تطوّعَ في جيشِنا ثم التحقَ بالجيشِ الأميركيّ. تطوّعَ في القوّاتِ البحريةِ والجويةِ والبرّيّةِ في وقتٍ واحد، وقُتلَ في حربِ البترولِ الأولى

وحصارِ العراقِ وحربِ البترولِ الثانية، ولم يُعثَرْ على جثّته.. كانت جيوشُهم تجوبُ الشوارع، وتحتفلُ بتحريرِ العراق. (ثم بحماسة) عروضٌ عسكريّةٌ وطبولٌ وأبواقٌ وراياتٌ ترفرف. وعلى الأرصفة جُموعٌ تستقبلُ الفاتحينَ بالأزهار. (يقترب من القناع ويضمّه) واقتربَت امرأةٌ مفجوعةٌ تضمُّ ولدي وتقبّله. (ثم وهو يقذف القناعَ بعيداً عنه بقوّة): وانفجرَ حزامُها الناسفُ لحظةَ القبلةِ الثانية. (ثم وهو يدور في المكان مرفرفاً كالطير) وتطايرَ الجسدانِ أشلاء. (مقهقهاً) تطايرَ الجسدانِ أشلاء.

(إظلام مفاجئ وموسيقا)

المنظر الثالث

قبو الغسيل في الفندق

-١-

(إضاءة تدريجية) (المكان خالٍ. في جدار مقدمة المسرح هاتف مثبّت بارتفاع المستخدِم الواقف)

(في زاوية يمين العمق مكنسة فرشاويّة ذات عصا. في الزاوية اليسرى ممسحة مؤلفة من حزمة من الخيوط الغليظة حول نهاية عصا. يرنّ الهاتف رنّات متواصلة فيسرع إليه الرجل)

الرجل : ألو.. نعم.. نعم.. حاضر.. حاضر. (يضع السمّاعة) السيّدُ قادم.

المرأة : مديرُ الفندق؟

الرجل : بوّاب الفندق. مندوبُ المديرِ كالعادة.

(يسرعان فيتنكّب الرجل المكنسة وتتنكّب المرأة الممسحة ويقفان باستعداد عسكريّ قرب أحد المداخل. يدخل القناع من ذلك المدخل مغطّى الجسم بكومَة من أغطية الفُرش، يلقيها على الأرض فتظهر في إحدى يديه سمّونتان وفي الثانية فاتورة هاتف، فيقابلانه بصوت واحد)

الرجل : جاهزانِ للتفتيش، سيّدي البوّاب.

القناع : لا وقت للمسخرة. (يرمي الأغطية) هذا للغسيلِ والكيّ. (يعطي سمّونة للرجل) وهذا خبزُ يومِك. (الرجل يرمي المكنسة على الأغطية ويضع السمّونة في جيبه. والقناع يعطي سمّونة للمرأة) وهذا خبزُ يومِك. (المرأة تفعل كالرجل، والقناع يتابع مخاطباً إيّاهما) أمّا الفولُ والفلافل، فمحسومانِ حتى إشعارٍ آخر، بأمرِ السيّد المدير.

الرجل : قلْ للسيّدِ المديرِ يا سيّدي: ليس بالخبزِ وحدَه يحيا الإنسان.

القناع : (مشيراً بالفاتورة) وليس بالهاتفِ أيضاً. (الرجل يأخذ الفاتورة وينظر فيها) مكالماتُك الدَوليّةُ إلى.. لَجنةِ حقوقِ الإنسان.

المرأة : هذا شرطُنا على السيّدِ المدير؛ أن نتّصلَ باللجنةِ متى نشاء، ونستقبلَها في هذا الفندق.

القناع : الشرطُ أن تتصّلا بمكتبِ اللجنةِ في مصرَ هنا، وليس أمريكا.

الرجل : أو، هوه.. سنردُّ قيمةَ الفواتيرِ عمّا قريب. حين تأتي اللجنةُ وتردُّ اعتبارَنا.

القناع : (متهكّماً) وتردُّكما إلى تدريسِ الفلسفةِ في الثانويات، أيّها الأستاذانِ الهاربانِ من مشفى المجانين.

الرجل : هكذا؟ (يمسك بخناق القناع) لسنا من المجانين، يا حضرةَ البوّاب.

المرأة : (تأخذ الممسحة وتضرب القناع مراراً مردّدة) لسنا من المجانين..

القناع : سوف أستدعي الشرطة.. فتعودانِ إلى مشفى المجانين.

المرأة : (وهي تضربه مع كل كلمة) ويعاقبون مديرَك أيضاً، لأنه تستّرَ علينا.

القناع : (يكاد يبكي) أرجوكما أرجوكما. لن أفعلَ أيَّ شيء.

الرجل : (يدفع القناع جانباً فيقع فوق كومة الأغطية) انقلِعْ..

(إظلام تدريجي)

-٢-

(إضاءة تدريجيّة. اختفت السمّونتان. المرأة جالسة وقد أسندت رأسها إلى يديها المقبوضتين)

(الرجل يأتي من الداخل وهو يجرجر خمسة كراسي بلاستيكية متراكبة، ويجري صفّ الكراسي كلّه بين جدّ وهزل أو بين عقل وجنون)

الرجل : (بحماسة) اللجنة. اقترب موعد اللجنة.

المرأة : (ناهضة) اللجنةُ الرباعيّةُ الدوليّةُ الأمميّةُ المتحدة..

الرجل : (مفتخراً) لحقوق الإنسان.

المرأة : (متهكّمة) والحيوان.

(تساعده على فكّ تراكب الكراسي وهو يصفّها على خطّ يتخيّله وسط المكان فيما يلي):

الرجل : هذا لرئيسِ اللجنة. (يضع الكرسي في طرف الصفّ) مندوب الأمينِ العامِّ للأممِ المتحدة.

المرأة : أخطأتَ يا عزيزي. (تضع الكرسي في وسط المكان) هنا رئيسُ اللجنة.

الرجل : مكانُه في الطرفِ يعني في الطرَف. (المرأة تعيد الكرسي إلى حيث كان، والرجل يحمل كرسيّاً) وهذا لأقوى أعضاء اللجنة؛ مندوبِ الولايات المتحدة. يضع الكرسي بجانب سابقه) لأنه رئيسُ اللجنةِ الحقيقيّ.

المرأة : (تحمل الكرسي وتضعه في وسط المكان على مسافة كرسيّ من سابقه) هذا يعني: هنا مكانه.

الرجل : (يشير إليها بإعادة الكرسي إلى حيث كان فتفعل، ثم يضع كرسيّاً في الطرف الثاني للصفّ على مسافة كرسيّين من سابقه) وهذا لمندوبِ الولاياتِ الأوروبيّة المتحدة.

المرأة : (تضع كرسيّاً في الفراغ السابق جنب كرسي أوروبا فيبقى في الوسط فراغ بقدر كرسي) وهذا لمندوب الولايات الروسيّة المتحدة. فأرجِعْ الكرسيَّ الخامس، وصحِّحْ المسافاتِ بينَ الكراسي.

الرجل : لا تغلطي يا أستاذة. (حاملاً الكرسي الخامس) هذا لأهمِّ شخصيّةٍ في اللجنة.

المرأة : (تشير بأصابع يدها) اللجنةُ رباعيّةٌ يا أستاذ. رباعيّة.

الرجل : وكلّ لجنةٍ لها سكرتيرة. والسكرتيرة، (يضع الكرسي في وسط الصفّ) يجبُ أن تكونَ حُلوة.

المرأة : (تقهقه) حلوةٌ وحيويّة؟ (تقهقه) حلوةٌ وحيويّة؟

الرجل : ما لكِ، هل تغارين؟

المرأة : وهل ستأتي اللجنة؟!

الرجل : لا تتشاءمي، كوني واقعيّة.

المرأة : إلى الجحيم بكلِّ هذا. أنا يائسة، يائسة.

الرجل : (مبتسماً) أنا متفائل رغمَ أنفي ويجبُ أن نحاول، (يجلس على الكرسي الأوسط) لأجلِ حياتِنا.

المرأة : الموتُ أفضلُ من أملٍ كاذب. ومن فِقدان الأمل.

(موسيقا مع إظلام تدريجي)

-٣-

(إضاءة تدريجية مسائية)

(كلّ من الرجل والمرأة واقف في أحد أطراف المكان ينظر إلى الخارج كأنما من كوّة قبو)

المرأة : اقترب المساء.

الرجل : الضوء شاحب والسماء رماديّة. يعني اقترب المساء.

المرأة : هل كذبوا علينا أم أهملونا؟

الرجل : لا تتشاءمي، سأتأكّد. (يركّب رقماً بالهاتف ويصغي لحظة ثم يضع السمّاعة) الخطّ مشغول.

المرأة : جرّبْ خطّاً آخَر.

الرجل : سأجرّبُ كلّ الخطوط. (يحاول عدّة مرّات وفي كلّ مرّة يقول) مشغول.. مشغول.. مشغول.. (ثم بحماسة) لكنّي سألتفُّ على أرقامِهم كلِّها. أعرفُ الرقم الشخصيّ للسكرتيرة. (يركّب رقماً ويصغي لحظة)

ألو، مرحبا. (يصغي) أنا أستاذ الفلسفةِ المصري. (يصغي) منعوني مع زميلتي من التدريسِ واتهمونا بالجنون. (يصغي) موعدُنا مع اللجنةِ اليومَ في منتصف النهار، وقد اقتربَ المساء. (يصغي) أنتِ بلّغتِني البارحة. (يصغي لحظة ثم يضع السمّاعة ببطء) اللجنةُ مشغولةٌ جدّاً جدّاً..

المرأة : مشغولةٌ بِماذا ؟

الرجل : بحرب البترولِ الثالثة.

المرأة : الحربُ قائمةٌ منذ سنوات، وقد لا تنتهي بعد سنوات.

الرجل : قالَت إن الحربَ في مرحلةٍ حاسمةٍ والعالَمُ في لحظةٍ فاصلة.

المرأة : النغمةُ ذاتها منذ سنوات: الحربُ في مرحلةٍ حاسمةٍ والعالَمُ في لحظةٍ فاصلة.

الرجل : مهما يكنْ، مهما يكن، يجبُ أن ننتظر.

المرأة : (تسير ببطء إلى طرف المقدمة البعيد عن الهاتف) ونقضي عمرَنا ننتظر.

الرجل : لا تتشاءمي هكذا. ما دامت الحرب طالَت فهذا يعني أنها أشرفَت على النهاية. (يرنّ الهاتف

فيسرع إليه وتتبعه المرأة) ألو.. (يصغي باهتمام) نعم، أنا المشتكي. (يصغي) زميلتي قربي أيضاً. (يصغي) بشرى وتهنئةٌ على أيِّ شيء؟ (يصغي وتلصق المرأة أذنها بالسمّاعة) الحربُ انتهت وانتصرنا؟ (يصغي) آ، هَه.. (يصغي) آ، هَه.. (يصغي) آ، هَه.. (يصغي) مع السلامة. (يضع السمّاعة ويكلّم المرأة متهكّماً) ربحوا حربَهم وهنّأونا. وطمأنونا بأنّ العالَمَ كلَّه صارَ في أيدٍ أمينة. يعني: في قبضة الشركة.

المرأة : (مشيرة إلى نفسها بافتخار تهكّمي) شركةِ الوالدِ المحترم. (ثم وهي تدور حول الرجل) الشركةَ العالَميّةِ المتحدة، لسلخِ جلودِ البشر.. والشركةُ يقودُها أوغادُ شعبِ الله..

الرجل : (منتبهاً فجأة) ولكنْ اللجنة..

المرأة : لا جدوى من أيِّ لَجنة.

الرجل : حدّثَتني عن الحربِ فنسيتُ مسألتَنا. (يركّب بالهاتف رقماً ويصغي، بينما تقترب المرأة منه فيخبرها في شبه همس) المجيبُ الآلِي. (يصغي

قليلاً ثم يعلّق السمّاعة خبطاً ويصرخ) قذرون. قذرون. قذرون.

المرأة : ماذا قالَ المجيبُ الآلِي؟

الرجل : قالَ بالحرف الواحد: شكواكم كاذبة. ولا تتصلوا مرّةً ثانية.

المرأة : (تقهقه بجنون) شكوانا كاذبة.. (تقهقه) شكوانا كاذبة.. وشعبُ اللهِ وأذنابُهم صادقون..

الرجل : (كأنما لنفسه) مشفى المجانينِ انفجرَ وغطّى العالَم. والجنون شَمَل الدنيا ومَن عليها، فماذا نفعل؟

المرأة : (بلا جنون) الموتُ أفضلُ من أملٍ كاذب. ومن فِقدان الأمل.

الرجل : سألتكِ: ماذا نفعلُ كي نعيش؟

المرأة : نحنُ معدومانِ هنا أو هناك (مشيرة إلى الخارج)

الرجل : أنا سألتُ: ماذا نفعل؟

المرأة : (بابتسامة جنونيّة) ماذا نفعل؟! (بحماسة) نخرجُ إلى الدنيا ونشمُّ هواءَ البترولِ الشامل، ونقهقه في وجوه الناس حتى ننفجر.. فنطيّرُ اللجنة.. ونطيرُ معها.

الرجل : (بحماسة) نقهقه في وجوه الناس حتى ننفجر.. فنطيّرُ اللجنة.. ونطيرُ معها.

(يهرولان خارجين)

((تمّــت))

حمص – صيف ٢٠٠٩